مـــــــــركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

الحرب على إيران كيف تُدار في الإعلام الغربي؟

الكاتب: حيدر الخفاجي

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز و إنما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

https://t.me/manbarcenter

07816776709

الحرب على إيران كيف تُدار في الإعلام الغربي؟

الكاتب: حيدر الخفاجي

لا تُصنع الحروب في غُرف العمليات وحدها، بل في غُرف الأخبار أيضاً. قبل أن تُحلِّق الطائرات وتدوي الصواريخ، تكون اللغة قد مهدت الأرض، وتهيأت العقول لتقبّل ما كان ينبغي أن يُقابَل بالرفض والذعر. في هذا السياق، يطلّ الصحفي البريطاني المستقل بيتر أوبورن[1]، الخارج من عباءة الصحافة التقليدية، ليكشف أن ما يُحاك اليوم حول إيران ليس مجرد نزاع عابر، بل فصل جديد من فصول الخداع المنظَّم الذي خبرناه في العراق وغزة من قبل.

من يتأمل الخطاب السائد في الإعلام الأوربي يكاد يُخيَّل إليه أن التاريخ قد مُسِح من الذاكرة الجمعية. تُستعاد، بحذافيرها تقريباً، مفردات ما قبل غزو العراق: "تهديد وجودي"، "برنامج نووي غامض"، "نظام طائش لا يفهم إلا لغة القوة". لكن ما يُحذف من الرواية، بقدر لا يقل قصداً عن الإضافة، هو الحديث عن "الترسانة النووية الإسرائيلية" الصامتة على أطراف المشهد، وعن سجلّ الحروب الاستباقية الغربية التي كسرت ما بقي من هيبة القانون الدولي.

هكذا تُقدَّم إيران كخطرٍ منفلت من عقاله، بينما يُحجب عن المتلقي السؤال البديهي: كيف استحال الحديث عن أمن المنطقة إلى حوار أحادي لا يُسمع فيه إلا صوت واشنطن وتل أبيب وحلفائهما؟.

الإعلام، الذي يُفترض به أن يكون ضمير المجتمع، يتحوّل في لحظات الأزمات إلى جوقةٍ من الأصوات المتشابهة. تُستدعى "الخبرة" من بوابة واحدة: جنرالات متقاعدون، مسؤولون سابقون، باحثون تدور مؤسساتهم في فلك الدولة أو المجمّع الصناعي

[1] British Journalist UNCOVERS SHOCKING Iran War COVER-UP. https://www.youtube.com/watch?v=4BlXzB8E8h4

العسكري. يتحدث هؤلاء بلهجة الواثق، فيخلطون بين المعلومة والتقدير، وبين الحقيقة والرأي، حتى يكاد المشاهد ينسى أن ما يُقدَّم له ليس سوى قراءة واحدة لواقع متعدد الأوجه. في المقابل، تُقصى الأصوات المُستقلة، ويُضيَّق على كل من يتجرأ على السؤال عن الثمن الإنساني والقانوني لمغامرة جديدة قد تبتلع المنطقة بأسرها.

في قلب هذه المعادلة تقف "إسرائيل"، التي لم تُخفِ يوماً رغبتها في شلّ قدرة إيران، ولو عبر ضربة عسكرية ماحقة. لكنها، في كثير من الأحيان، لا تحتاج إلى أن تضرب بنفسها ما دامت قادرة على إعادة صياغة النقاش في العواصم الغربية وفق مقاييسها. يكفي أن تُعلن أن أمنها مُهدّد، حتى تتحول هواجسها إلى مسلّمات في الخطاب السياسي والإعلامي الغربي. يغيب عن هذا الخطاب أن الأمن، في تعريفه الأصيل، لا يمكن أن يكون امتيازاً لطرف واحد، وأن بناء معادلة أمنية قائمة على احتكار القوة وحرمان الآخرين من أبسط ضمانات الردع هو وصفة دائمة للفوضى لا للاستقرار.

أمّا الغرب بأجمعه، فقلّما يظهر في هذه الصورة بوصفه فاعلاً مستقلاً. فهو، في النزاعات الكبرى، يحرص على تموضع يُبقيه قريباً من واشنطن بما يكفي لكي لا يُستبعَد، وقريب من القانون الدولي بما يكفي لكي لا يُتَّهَم. غير أن هذا التوازن الظاهري يخفي واقعاً أكثر نفاقاً: قواعد تُفتح، وممرات تُيسّر، وصفقات سلاح تُمرَّر، وخطاب دبلوماسي يُصاغ بعناية ليُقنِع الداخل بأننا في موقع "الحليف المسؤول" لا المشارك في إشعال الحرائق. هنا تحديداً تكمن خطورة التستّر الإعلامي، لأنه يُحوّل سياسة الانخراط في الحرب إلى ممارسة اعتيادية، مغسولة بلغة "الالتزامات التاريخية" و"الشراكة الإستراتيجية" و"حماية النظام الدولي".

هذا التواطؤ لا يُختزَل في حكومة أو دورة انتخابية. إنه بُنية متجذرة في النخب السياسية والإعلامية على حد سواء في الغرب. فحين تلتقي قيادة البرلمانات الغربية على خطاب متقارب في القضايا المصيرية، وحين يجري تأنيب كل صوت يشذُّ عن هذه الجوقة، يصبح البرلمان الأوربي فضاءاً لمداولات شكلية أكثر منه ساحةً لصراع رؤى حقيقي. والإعلام، بدل أن يملأ فراغ المعارضة الغائبة، يكتفي غالباً بدور الناقل الأمين للمواقف الرسمية، أو يتقمص دور "الخبير الأمني" الذي يشرح للجمهور حدود المقبول والمستحيل في السياسة الخارجية، من دون أن يكلّف نفسه عناء مساءلة البديهيات.

لقد كشفت تجربة غزة هشاشة الادّعاء الأخلاقي الغربي أمام أول اختبار حقيقي: دولة تُسلَّح وتُحمى دبلوماسياً وهي تمارس تدميراً ممنهجاً بحق شعبٍ محاصر، فيما تُصوَّر التظاهرات الحاشدة في شوارع لندن أو عواصم أوربية أخرى على أنها مواكب غير مشروعة.

اليوم نرى البذور ذاتها تُزرَع في تربة إيران. شيطنة متدرّجة، تهويل مستمر، وتطبيع لفكرة أن الحرب إن وقعت ليست خياراً مأساوياً يُقاوَم، بل إجراء عقلاني مقبول. إن استمرار هذا النمط يعني أن الغرب لم يتعلم شيئاً من كذبة أسلحة الدمار الشامل في العراق، ولا من دماء الفلسطينيين التي ما زالت تُسفك على مرأى من عيون العالم.

ليس المطلوب، في مواجهة هذا المسار، تبرئة الطرف الآخر ولا تبني روايته، فالنقد لا يُختزل في استبداد طرف أو سوء سياساته الداخلية. المطلوب، أولاً، أن يُستعاد للصحافة دورها الطبيعي، وأن يُفتح المجال أمام من يُذكّرون بأن الأمن لا يُبنى على حصار الشعوب وتجويعها، وأن القانون الدولي لا يُطبَّق انتقائياً على الضعفاء وحدهم.

أن يسمع المواطن الغربي، وهو يشاهد خرائط مضيق هرمز والممرات البحرية، أن هناك طرقاً أخرى لإدارة الصراع غير دفع المنطقة إلى حافة الهاوية مرة اخرى.

إن فضح تستّر الإعلام على الحرب ضد إيران هو، في جوهره، دفاع عن كرامة السياسة وعن المعنى الأخلاقي للمهنة الصحفية. فالشعب الأمريكي الذي خُدع في العراق، وشهد تواطؤ دولته في تدمير غزة، يستحق ألا يُقاد مرة ثالثة إلى مأساة جديدة تحت لافتة "المصلحة الوطنية" و"حماية الحلفاء".

وبين ضجيج الطبول التي تُقرَع للحرب، يبقى الصوت الصحفي الحر ضرورة لا ترفاً، لأنه يُذكّرنا بأن أخطر ما في الحروب ليس ما تفعله بنا الأسلحة، بل ما تفعله بنا الأكاذيب حين تُقنعنا أن القتل قدرٌ لا مهرب منه.

***